التطرف وليد التطرف

أ.م.د. سامي عويد احمد

جامعة تكريت / كلية التربية الأساسية/ الشرقاط / قسم التربية الاسلامية

(قدم للنشر في ٢٠١٩/٩/١٦ ، قبل للنشر في ٢٠١٩/١٠/٣٠)

ملخص البحث:

ينطلق هذا البحث من المعنى اللغوي للتطرف، والذي حدده بالبعد والنهاية عن الوسط، والذي يدلل على أن في كل فرضية او نظرية، وفي كل ثابت او متغير تختلف فيها الانظار والمواقف في ثلاثة محاور رئيسة، وهي طرفان متناهيان ووسط معتدل، والذي من صفاته الثبوت والاستقرار والاعتدال في الفكر والسلوك، وذلك بتبني الإيجابيات في الطرفين، ونبذ سلبياتهما، وبازدياد المسافة عن الوسط تزداد المواقف والاتجاهات سلباً واضطرابا؛ لكونها فقدت بهذا الابتعاد وسطيتها الى أنْ تصل الى نهاية الاطراف المتقابلة، وهي بذلك تُكّون المعادلة النظرية التي تفترض أنّ لكل اتجاه فكري او سلوكي طرفان ووسط، ومن الاطراف ينشأ التطرف في المواقف السلبية ازديادا او نقصاناً بحسب ما بينه وبين الوسط من مسافة، فالقسمة في هذه المعادلة ثلاثية إلا أنّ السلبيات في اليسار المتطرف، وما يقابلها من سلبيات في اليمين المتطرف سيتولد عنهما طرفا رابعا خارجاً عن هذه المعادلة؛ لكونه يرفض جميع محاورها جملة وتفصيلا، فهو ينظر الى الوسط بعين الاتهام والتخاذل، والى الطرفين المتقابلين بعين السلبيات والمفاسد، وهنا تكمن خطورة هذا النوع وضرره الكبير، وهذا ما سيحاول الباحث اثباته في ثنايا هذه الاوراق.

Abstract:

This research is based on the linguistic meaning of extremism, which is defined by the dimension and the end of the middle, which shows that in every hypothesis or theory, in each constant or variable in which the eyes and positions are divided into three main axes, two extremes and a moderate medium whose attributes are proven And the decision and moderation in thought and behavior, and by adopting the advantages in both parties , and the rejection of the negatives in them, and as the distance from the center increases attitudes and trends negative and turbulent; because they lost this distance to the medium until reaching the end of the parties On the other hand, the extremes in the negative attitudes increase or decrease according to the distance between them and the center . The division in this equation is threefold, but the negatives in the extreme left, and the corresponding ones by cons in the extreme right will be generated by the fourth - party outside of all of this equation; because it rejects all axes altogether, it is my view to the middle of the eye charge and inaction, and to the party yen opposite of the eye negatives and evil, and here lies the danger of this kind great harm, and this What the researcher will try to prove in his folds These papers.

المقدمة

الحمد لله وبعد: فقد اضحى التطرف وباءاً متفشيا يؤرق المجتمعات البشرية على جميع الاصعدة، وبات خطرا حقيقا يهدد الأمن المجتمعي في جميع النواحي؛ لذلك استدعى من جميع المفكرين الناصحين وبمختلف التخصصات من الوقوف المواقف الجادة المبنية على الموضوعية والحيادية؛ لمعرفة الاسباب وتشخيص الدواعي وتحديد الدوافع الكامنة خلف نشوء التطرف، وكيفية نموه، وطرق انتشاره، ثم العمل على ايجاد الوسائل والاساليب الناجحة وتبنيها للحيلولة دون تمدده، وملاحقته الى الجذور التي نبت منها واستئصالها.

ومنذ عقود والعالم يعقد الندوات ويقيم المؤتمرات؛ من اجل هذه الغاية الكبيرة، فأدلى كل دلوه بحسب الاصول التي يستقي منها، والتخصصات التي يصدر اليها؛ للخروج بنتائج ومقترحات يراها مناسبة، ومنها هذا المؤتمر الذي هو لبنة من لبنات ذلك البناء الذي يهدف الى الوصول بالإنسان الى اعلى مستويات الرقي الحضاري في شخصيته النفسية قبل بنيته الظاهرية.

والتطرف في هذا العصر الذي أخذ حيزا كبيرا في واقعنا بحكم طول المدة التي ضمنت بقاءه؛ فأدت الى تبلور أفكار وايدولوجيات معقدة، وبمساعدة التقنيات الحديثة اعلاميا والتي زادت من قوته وتأثيره على العقل والعاطفة البشرية؛ كان لابد من التعمق وسبر غور الدوافن لدى المتطرفين، ومن اين اصابهم هذا التطرف بمقاتله؛ لذا جاء هذا البحث ليتم من خلاله تسليط الضوء على جانب من جوانب أسباب ولادة التطرف بمعناه المعروف اليوم.

وتنبني فكرة هذا البحث على اساس تقسيم أي جهد بشري عمليا كان ام فكريا الى معادلة مكونة من ثلاثة اقسام طرفان ووسط، وهذان الطرفان هما الحاضنة التي تتكون فيها التربة الخصبة لولادة طرف رابع هجين خارج هذه المعادلة، والذي بقاؤه يعتمد على القضاء على الاطراف الاخرى، ونظرا لكون هذه المعادلة تنطبق على جميع الاصعدة البشرية فكريا واقتصاديا وسياسيا وثقافيا واجتماعيا واعلاميا . . .الخ؛ لذا سيقتصر البحث على إنموذجين اثنين هما إنموذج نشوء التطرف السياسي وإنموذج نشوء التطرف الاجتماعي، والذي سيثبت أن أصحاب هذه الاطراف هم السبب الرئيس في ولادة التطرف بمعناه المعهود، ولم ينس الباجث ان يخرج بنتائج واقتراحات يرى أنها الانسب في طريق تقويض هذا المرض والعمل على الشفاء منه.

المطلب الاول: تعريف التطرف لغة واصطلاحا

أولا: تعريف التطرف لغة

التطرف في اللغة تفعل مأخوذ من الفعل الثلاثي(طرف) يدل على حد الشيء وحرفه، ومُنْتَهى كلِّ شيء طَرَفُه، وأطراف الأرض: نواحيها، والواحدُ طَرَف، كقولهم: ناقةٌ طَرِفة لا تَثْبُتُ في مَرْعى واحدٍ إنّما تتطرّف من النّواحي، وَطَرَف الرجلُ حول العسكر إذا قاتل على أقصاهم وناحيتهم، وبه سمي الرجل مُطْرِفَاً، والمطرف من الثياب: ما جعل في طرفيه علمان، وذباب السيف طرفه المتطرف الذي يضرب به وقيل حده[١] .

ومن خلال ما تقدم من اقوال أهل اللغة في تحديد المعنى اللغوي للتطرف نجد أنّ معناه يقوم على الابتعاد الى النهايات التي يكون معها الشطط، والنأي عن المجموع الذي يكون معه العصمة من المهالك، كحال الناقة التي تطرفت عن القطيع بأنْ رعت في نهاية المرعى، فعرضت نفسها للضياع والهلاك، وهو معنى دقيق للتعبير عن المتطرف في مواقفه وتصوراته التي يبتعد فيها عن ألفة الجماعة والخروج عنها الى النهاية التي لا عودة منها .

ثانيا: تعريف التطرف اصطلاحاً

أخذ التطرف في أنظار الباحثين تباينا ملحوظا في تحديد المعنى الدقيق لهذا اللفظ، ولن يتطرق هذا البحث لمقابلة تلك التعاريف، وانما سيسلط الضوء على ما يلائم فكرة البحث من وجهة نظر الباحث، والذي ينبني على العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي القائم على أن لكل شيء طرفان ووسط، فإذا تم تجاوز الوسط إلى أحد طرفيه قيل له: تطرف في هذا الشيء، أي جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط[٢] .

فقيل: معنى التطرف، هو أخذ الأمور بشدة، والإقبال عليها بما يجاوز حد التوسط والاعتدال، ومجانبة اليسر واللين والسماحة، سواء كان من جنس الأفكار والتصورات، أم من جنس السلوك والوقائع[٣] .

وقيل: "هو أن يتمسك المرء بموقفه وبالحد الأقصى لا يحيد عنه ولا يقبل تقديم أية تنازلات ولا يتهاون بغض النظر عن الأوضاع والملابسات المحيطة بالموقف"[٤] .

---

[١] ينظر: كتاب العين، ٧/ ٤١٣–٤١٦، وتهذيب اللغة، ١٣/ ٢٢١، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٣/ ٤٤٧، ولسان العرب، ١/ ٣٨٠.

[٢] ينظر: مفاهيم إسلامية، ص: ٨٨ .

[٣] ينظر: الإرهاب والعنف في ميزان الشرع، ٣/ ٢٧ .

[٤] موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية، ١٩/ ٢٤ .

وقيل: هو الجنوح إلى الطرف والبعد عن الجادة والوسط في التسيب، والغلو، وينتظم فى سلكه الإفراط، ومجاوزة الحد، والتفريط والتقصير على حد سواء[٥] .

وعلى ما تقدم من تلك التعاريف الاصطلاحية، فانها تنبني على أن ميزان الوسطية والاعتدال هو الاخذ بما للطرفين من حق وصواب، والتطرف فيها: هو مجاوزة حد الاعتدال والوسطية الى طرفي الغلو والجفاء او الافراط والتفريط عمليا كان ام فكريا .

المطلب الثاني: التطرف المتولد من الاتجاهات السياسية

ان الواقع الذي عاشته البشرية منذ وجودها يشهد على ان الممارسات والمواقف السياسية القائمة على الاقصاء والتهميش للجماعات والتيارات الفكرية المعارضة، وكذلك عدم الاحتواء لها ورفض التقبل لتوجهاتها، وعدم الاكتراث والاهمال لما قد يترتب على تلك السياسيات من مواقف سلبية او ايجابية فانه لابد أن يولد ردود افعال متشنجة ازاء تلك المواقف تقل او تزداد طردياً وعكسياً بحسب ضراوة وشدة تلك السياسات .

وفي عالمنا العربي والاسلامي الذي اضحى مرتعا خصبا للتطرف والارهاب حينما نريد تطبيق معادلة التوازن الانساني على التيارات والتوجهات السياسية التي تحكم قبضتها على تلك المعادلة نجدها تتكون من: الطرف الاول، وهو التيار المدني العلماني بمختلف توجهاته كالشيوعية والاشتراكية والنازية والرأسمالية والوجودية والانتقائية. . .الخ، القائمة على فكرة اللادين، وتنادي بضرورة فصل الدين عن السياسة، وأن الدين مكانه في المسجد على اعتباره حالة شخصية، ولا دور له في السياسة، والذي يقف موقفا متطرفا من الدين، وقد عبر هذا التيار في تاريخنا المعاصر عن مقابلته لمخالفيه بأشد انواع العنف والتطرف، ودفعت البشرية ثمنا باهضا لم تعرفه من قبل، ففي "خضم القرن العشرين- قرن التقدم والرقي وغزو الفضاء - ينفجر العنف في كل مكان نتيجة انتشار النموذج الفكري المعرفي الغربي الذي يمجد القوة وأسبابه، وفي هذا القرن قام أكثر من(١٣٠) حرباً، وقُتل فيها أكثر من (١٢٠) مليون إنسان"[٦]، ذلك من خلال ظهور الحربين العالميتين الاولى والثانية، او من خلال الثورات التي قامت على اسس افكار هذا التيار .

وتكمن خطورة هذا التيار بأنه "نزع من الإنسان قلبه، فأصبح من غير مشاعر، وأضعفت لديه سلطان الضمير، والخوف من عقوبة الآخرة، وأحلت محله الأعداد الهائلة من القوانين والعقوبات والجند، ومع ذلك فأعمال العنف والجرائم المختلفة في تزايد مستمر"[٧] .

---

[٥] ينظر: مفاهيم إسلامية، ص: ٨٨ .

[٦] ينظر: عصرنا والعيش في الزمان الصعب، ص: ٤٤ .

[٧] المصدر نفسه.

وقد عبر اصحاب هذا التيار عن مكامن التطرف والارهاب المتأصل لديهم، وذلك من خلال نظرية البقاء للأصلح، والذي يعني أن الحياة هي عبارة عن صراع من أجل البقاء، وهو ما عبروا عنه في نظرياتهم بالانتخاب الطبيعي التي اخذوه من متطرفي ملحدي علماء الاحياء، والذي يعني ضرورة بقاء الصراع للحصول على ارقى الانواع، وذلك من خلال الابادة للضعيف، واستمرار وجود القوي عن طريق الحروب والعنف، وهو ما طبقه فعليا على ارض الواقع كل من هتلر وموسوليني، وغيرهما مما يدلل على أن التطرف هو ضرورة حتمية في التوجه الفكري لهذا التيار.

اما الطرف الثاني في معادلة الحياة الانسانية، هو التيار اليميني الديني السياسي بمختلف توجهاته الفكرية والعقائدية، وجميعها تقوم على حتمية اعادة الخلافة الاسلامية التي يقولون انها انتهت بسقوط الدولة العثمانية.

ان هذا التيار الديني السياسي بنى مواقفه السياسية بغية الوصول الى نظام الحكم للتغيير والاصلاح على الفكرة السائدة بين جميع الاحزاب والقوى السياسية الاخرى، والتي تقوم على اساس أن الاصلاح يبدأ من رأس الهرم السياسي، بمعنى أن الاصلاح والتغيير يبدأ من الحاكم، فاذا صلح الحاكم صلحت الرعية، وهذا النوع ينافس الى الوصول الى سدة الحكم كما ينافس غيره من الاحزاب المدنية التي تحاول الوصول هي الاخرى الى نفس الغاية بمختلف الوسائل الا ان هذا التيار بمختلف توجهاته الفكرية الاسلامية فأنه ولابد ان يصطدم بتناقض بين الواقع السياسي الذي فرضته التعددية الحزبية والفكرية، وبين الغاية التي من أجلها أرادت الوصول الى قمة الهرم السياسي الا وهو الحكم بالشريعة الاسلامية، والذي لا يمكن تحقيقه في ظل هذا النظام التعددي الا من خلال الممارسات الحزبية التي في كثير منها تنحو منحى متطرفا يتخذ العنف اسلوباً من اساليب الضغط السياسي لتمرير غايات واهداف تلك القوى السياسية الدينية.

ان هذا التناقض الناشئ لدى هذا النوع من التيار الاسلامي في تحقيق المبادئ والعجز عن الوصول الى الغايات سيولد ردود افعال متطرفة للتخلص من عقدة التناقض بمحاولة لفرض التوجهات التي عجز عن تحقيقها في ظل ذلك النظام السياسي، وهذا هو منطلق التطرف القائم على ردة الفعل المناقضة للفكر المقابل، فمع الوجود القوي للأحزاب المدنية، والتي لا تقبل بدورها الاحزاب الدينية لتعارضهما في اصل التنظير السياسي، والذي يعمل على الغاء الطرف المقابل، والذي افرزه تكافؤ الافكار في الوسط المجتمعي يؤدي بالنتيجة الى تبلور العنف لتحقيق المكاسب الحزبية بين الاطراف الدينية والمدنية.

واذا ما امعنا النظر في الاحزاب والأنظمة الاسلامية والعربية الحالية، نجد أن تلك الانظمة السياسية بشقيها الديني والمدني لم تكتف بتهميش ما يقابلها في الطرف الاخر، وعدم الاكتراث له، بل نجده يقف منه مواقف متشددة ومتطرفة "حتى في بعض البلدان التي تدعي الديمقراطية وحرية الرأي، وهذا من شأنه أن يولد المنظمات السرية، والتوجهات المناهضة، وردود الأفعال الغاضبة التي لا تجد ما تصب فيه غضبها، وتفرغ فيه شحنات عواطفها إلا امتطاء صهوة الإرهاب، وذلك ما تمثل واقعًا حيًا مشاهدًا في كثير من البلدان"[٨] .

ومن اسوء مظاهر التطرف السياسي بشقيه كليهما الديني والمدني هو العمل على انكار الاخر، وتحجيم دوره والغاء فاعليته السياسية عن طريق ممارسة العنف والاضطهاد مما يؤدي الى ظهور انماط التطرف التعبوي لدى المؤيدين من الجماهير لكلا الطرفين فيتحول المجتمع من خلاله الى مجتمع معبأ تعبئة سياسية متطرفة، "ولا شك أن ما كان سياسيًا في داخل أي مجتمع لا يحل بشكل إيجابي بنَاء، فلا يصح إعطاء المشروعية لأي حل من الحلول، يقوم على أساس وسائل القهر والإكراه ، وإثارة القلاقل والفتن"[٩]، وهو ما أدى في مجتمعاتنا الى أن تحولت الى مجتمع ديني متطرف، او مجتمع مدني متطرف يقومان على الغاء الآخر وتقويض وجوده.

ثالثا: التيار المتطرف الخارج عن معادلة السياسة الانسانية، إن تداعيات الاخطاء والسلبيات التي اتخذت شكلا متطرفا طرفي المعادلة السياسية الدينية واللادينية العلمانية التي أثقلت المجتمع بسيل من المشاكل التي هددت أمنه السياسي والاجتماعي والاقتصادي. . .الخ دون أن تخضع نفسها تحت مجهر النقد والاصلاح الذاتي الذي يسمح بقبول ما عند المخالف من ايجابيات نافعة تعالج ما عنده من الاخطاء يقوم بتجاوزها للوصول الى الكمال المنشود لهذا التيار او ذاك. الا أن الواقع السياسي اثبت عكس ذلك، وهو تعصب كل طرف بجميع توجهاته ومواقفه السلبية والمتطرفة التي رمت بثقلها الى تيار ثالث خارج هذه المعادلة نأى بنفسه عنها بشكل كلي، والذي لم ينظر في أطرافها المتقابلة الا نظرة التشاؤم والاشمئزاز الذي راح يحرك مكامن النفوس من كراهية وارادة الانتقام والتشفي ممن تسبب بتلك السلبيات والاخطاء التي امتلأت بها حياة الناس، فكان أن أدى الى ظهور هذا النوع من التطرف بشقيه الديني واللاديني، القائم على العجز وعدم الاستعداد النفسي في التعايش مع أي طرف من الاطراف السياسية الاخرى،

---

[٨] أسباب الإرهاب والعنف والتطرف، ص: ١٢.

[٩] ينظر: أسباب الإرهاب والعنف والتطرف، ص: ١٤.

وأن الحل في التخلص من التبعات التي أفرزتها أخطاء التيارين كليهما .

إن الحقيقة المرة التي لا يريد أن يقرها اي من طرفي المعادلة السياسية، والتي "يؤكدها الواقع والتجربة أن التطرف يغذي بعضه بعضاً، فتنامي التطرف العلماني والتغريبي في مجتمع؛ يولد تطرفاً مقابلاً في الجانب الديني، ولا توجد تجربة واحدة من التجارب المريرة التي مرت بها بعض البلدان في العقود الأخيرة كان فيها لهذا الفريق العلماني المتغرب دور في علاج مشكلات الغلو الإسلامي؛ بل كان دورهم أشبه بمن يصب المزيد من الزيت على النار، لتزداد توهجاً واشتعالاً"[١٠] .

فهذا النوع من التطرف والإرهاب هو وليد المغامرات السياسية، والتي هي عبارة عن حواضن واعشاش فرخ بها النوع الهجين، فالتطرف العلماني لعب دوراً تحريضياً، والتنظيمات الإسلامية الغاضبة المتطرفة لعبت دوراً تضليلياً، مما أدى في النهاية الى ثورة من التطرف التي انقلبت على الاصلاح السياسي في المجتمع برمته، والذي دفع ثمن هذا التطرف ومن استولده من انواع التطرف الاخرى[١١] .

رابعاً: تيار الوسطية الديني المدني، إن هذا التيار المقترح لابد أن ينبني على تبني المصالح العليا للمجتمع والتي تقوم على دعم كل ما يضمن استقراره الامني، وازدهاره الحضاري نحو الارتقاء بالانسان بتنقيته من السلوكيات الضارة التي تزيده احتقانا وتطرفا، وهذا لن يكون الا من خلال مراعاة الواقع الذي يعيشه المجتمع، وتغليب جانب المصالح على المفاسد في السياسة، وواقع الناس اليوم يفرض على جميع الاطراف أن يكون التنافس للمكاسب السياسية المشروعة هو عن طريق اعتماد مبدأ الاقناع الجماهيري للتوجهات الفكرية والايدلوجية لهذا التيار أو ذاك، والذي سيحدد في النهاية من سيكون صاحب الكلمة العليا في سدة الحكم، فالإقناع والحوار البناء هو رائد هذه النظرية، والتي ستقضي على اية بذرة تطرف يراد لها أن تنبت في الوسط السياسي او الاجتماعي، وهذا لن يكون الا من خلال الابعاد والاقصاء لكل تيار سياسي تقوم نظريته السياسية على السماح او التهاون في اتخاذ العنف كوسيلة من وسائل الضغط السياسي للتأثير في الاطراف الاخرى.

ومن وجهة نظر الباحث فان التيار الاسلامي لن يكتب له النجاح الا من خلال اعادة النظر في توجهاته السياسية، وأن يرجع الى سيرة الرسول محمدﷺ السياسية، وطريقته في اتباع الاولويات، القائمة على التدرج في تقديم الأهم فالمهم، وأن الاصلاح والتغيير

---

[١٠] ينظر: موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، ٢/ ٣٠١.

[١١] ينظر: الإرهاب، ص:٢٥.

يبدأ من القاعدة الجماهيرية بمعنى أن صلاح الحاكم بصلاح المحكوم؛ لذا فأنه لا يسعى بأي شكل الى ممارسة العمل السياسي مراعاة للواقع بل يصب جهده على الاصلاح الاجتماعي والفكري والنفسي، وهو بذلك لا ينطلق من مبدأ ما لقيصر لقيصر وما لله لله بل إنه يؤمن أن المجتمع اذا حكم على نفسه بشرع الله، فأن النتيجة الطبيعية أن ينتهي الامر بأن يختاروا أن يحكمهم حاكم يحكم بشرع الله تعالى من غير أن يشغلوا انفسهم بمتاهات السياسة ودهاليزها المظلمة، والتي تبدد ولا شك جميع الجهود الرامية الى الاصلاح الاجتماعي الذي هو الغاية من الاصلاح السياسي الذي يعد وسيلة لا غاية.

وفي ظل وجود هذه التناقضات في التيارات المتطرفة، والتي لا يمكن الغاء دورها الفعال في قيادة المجتمع والتأثير على سلوكياته كان لابد من وجود وجهات نظر تقرب من المسافات البعيدة بين كلا الطرفين الديني واللاديني، والذي يقوم في وجهة نظر الباحث على العمل في اقناع جميع الاطراف حول ضرورة فهم ما يخدم مصلحة مجتمعاتنا في الوضع الراهن من خلال ما يأتي:

١- ضرورة اخراج المجتمع من بوتقة الاحتقان السياسي والفكري والطائفي عن طريق اشاعة روح التعايش السلمي المبني على قبول سماع الرأي الآخر دينيا كان ام مدنيا مالم يؤدي ذلك الرأي الى بث روح الكراهية بين أبناء المجتمع.

٢- ضرورة الزام جميع الاطراف بأن الغاية من الحكم في ظل هذه الظروف لا يحتمل فرض أيدولوجيات فكرية على المجتمع من خلال استغلال النفوذ السياسي، وترسيخ المنظومة الحاكمة الى خدمة فكر دون آخر مما يعمل على استشراء الفساد السياسي.

٣- ضرورة اقناع والزام الاطراف السياسية بفصل مؤسسات الدولة الخدمية عن التوجهات الفكرية الحزبية، وذلك عن طريق تحويل العمل السياسي التنافسي من تنافس حزبي فكري الى تنافس حزبي خدمي.

المطلب الثالث: التطرف المتولد من الاتجاهات الاجتماعية.

تخضع المجتمعات البشرية الى العادات والتقاليد الاجتماعية ذات انماط سلوكية متنوعة، والملاحظ أنّ اغلب تلك المجتمعات تميل الى سلوك نوعين منها، فهي إما أنْ تتبنى نمط المحافظة على العادات والتقاليد الموروثة المستندة على قيم الالتزام الاخلاقي مع المجتمع المحيط، واما ان تنجر خلف النظريات المادية القديمة الحديثة القائمة على التخلص من ربقة القيود الاخلاقية واطلاق العنان للحرية الفردية والنفعية.

واذا ما القينا الطرف في تلك السلوكيات في النوعين كليهما نجد أنها تحتوي على سلبيات كثيرة لا يمكن تجاهلها بالنظر الى كونها تتعارض مع القيم المصلحية الاساسية التي تنظم المجتمع لجعله مجتمعا صالحا للتعايش والرقي الحضاري، وهذا لن يتحقق الا بالعمل على الاصلاح الاجتماعي من خلال تحديد نقاط الضعف، وتشخيص السلبيات، ومن ثم اعطاء العلاج المناسب، وهذا ما لا يكتب له النجاح الا بأن يعترف كل من الزعماء والمسؤولين عن استمرار ذلك النمط او ذاك على الرغم من علاته على وجود تلك الاخطاء والسلبيات مع وجود استعداد حقيقي للتغيير، الا ان الحقيقة الصادمة أن كل صاحب توجه اجتماعي يتمسك بما عنده من موروث تقليدي أو فكري وهذا في حقيقته تطرفٌ اجتماعيٌ محضٌ تظهر آثاره المتطرفة على شكل سلوكيات تأخذ في كثير من الاحيان أشكالا ذات طابع عنيف لصد محاولات النيل مما يعتقدونه أنها ثوابت لا يجوز المساس بها أو التعرض اليها ولو بالانتقاد وابداء الرأي.

وحينما نمعن النظر في المعاناة التي تعاني منها مجتمعاتنا نجدها لا تخرج عن تعصب وتمسك كل من اصحاب الاتجاهين بما لديه ما يراه أنه الصواب الذي لاشك في خطأ مخالفه، فأصحاب الاتجاه المحافظ على العادات والتقاليد الموروثة، والتي عادة ما تخضع لأهواء ورغبات اصحاب النفوذ والزعامة السياسية والدينية، والذين يحرصون أن لا تتقاطع تلك العادات والتقاليد على مراكزهم ومكانتهم في المجتمع، فتتجاذب المجتمع نتيجة لذلك نوعان من العادات والتقاليد، نوع ايجابي تنتظم فيه حياة المجتمع، وتتحقق فيها المصالح المجتمعية العامة والتي تقوم على العدالة وعدم التجاوز على حقوق الغير من خلال فرض التعامل القائم على الاخلاقيات والآداب العامة، والنوع الثاني، يخضع لمصالح أصحاب الزعامة والقيادة، والتي عادة ما تكون سلبية؛ لأنها تتماشى مع مصالح شريحة خاصة في المجتمع دون غيره، وهنا تظهر الحاجة الى كل ما يدعم تلك المصالح، وان كان على حساب تخلف المجتمع اجتماعيا، وانتشار مظاهر الجهل وشيوع الخرافات والاساطير على عقول الناس، والتي يحرص اصحاب النفوذ على ديمومتها وضمان استمرارية وجودها، فتصبح تلك الجهالات والخرافات ثوابت لا يسمح المساس بها .

ولما كانت جميع شرائح المجتمع تتكون من رئيس ومرؤوس، ومسؤول ورعية، والتي تبدأ بسلطة رب الاسرة وتنتهي بالسلطة العليا من شيخ العشيرة او الزعيم والقائد، وفي ظل غياب القوانين منضبطة التي تنظم حقوق جميع اطياف ذلك المجتمع الا باتفاقات شفوية هي في الأصل ردود افعال بشكل عقوبات على من يعتدي

من ابناء ذلك الوسط الاجتماعي، وكذلك غياب ثقافة الحوار الاجتماعي بين الاب وافراد اسرته، وبين الام وابنائها، وبين الاخ الأكبر واخوته الاصغر منه، وبين قادة المجتمع، وبين رعيتهم طفت على المجتمع ظاهرة احتكار الامتيازات لشريحة دون اخرى، فهضمت المرأة، وسلبت حقوقها، ونظر اليها نظرة الشك والريبة، وسادت ثقافة القوة والعنف في التوجيه والتأديب واخذ الحقوق، ووقع الحيف على الشرائح الأضعف في المجتمع من النساء والمراهقين والابناء، فجميع هذه العوامل وغيرها أسهمت في تبلور مظاهر التطرف بين أفراد المجتمع، فيتطرف الزعماء والمسؤولون ورب الاسرة ويستبدون في مواقفهم؛ لإشباع روح الاستعلاء والسلطوية المتجذرة في النفوس حتى غدت اصولا لا يمكن المساومة عليها، ويقابله ظهور نزعات التطرف فيمن وقع عليهم ذلك الاستبداد ليعكسوه بعد ذلك اما على شكل تمرد على المجتمع ومحاولة الانتقام من ذلك الواقع المذموم، أو على شكل ميراث متطرف ينقلونه من الاباء الى من سيئول أمره من النساء والابناء .

اما فيما يتعلق بأصحاب نظرية مجتمع الحرية الفردية، والذي هو في حقيقته انقلاب صارخ على كسر القيود الاجتماعية التي وضعها مجتمع المحافظين على أعراف وتقاليد المجموعة التي تُغلّب المصلحة العامة على المصلحة الفردية، ولا تقيد حرياتها الا في حدود ضيقة.

ولو ان اصحاب هذه النظرية توقفوا عند اطلاق حرية الفرد فيما لا يلحق الضرر بالمصلحة العامة للمجتمع؛ لكتب لها التأييد والقبول بين جميع أطياف المجتمع، الا أن اصحاب هذه النظرية تمادوا كثيرا في اطلاق العنان للحرية الفردية، وبلغوا في الغلو والتطرف فيها غايته ومنتهاه، فانهم جعلوا للفرد مطلق الحرية في التصرف بنفسه وماله وعرضه وان كانت تتعارض مع الاخلاق والآداب العامة وحتى الذوق الاجتماعي، ولا يمنع القانون الفرد في ظل هذه النظرية من مزاولة جميع ما يرغب به الشخص بمنتهى الحرية على أن لا يعتدي بهذه الحرية على حرية فرد آخر، اما في حالة التراضي في ممارسة الحريات بين الافراد فالقانون لا يعاقب عليها، وان ترتب عليها ضررا اجتماعيا واخلاقيا وسلوكيا، او حتى صحيا .

لقد بلغ التطرف بأصحاب هذه النظرية أن يحاولوا الغاء كل ما يعارض او يقف في وجه اطلاق العنان للحرية الفردية، ولم يحاولوا ولو بأبسط المواقف أن ينظروا الى ما في نظريتهم من سلبيات، والى ما في النظريات المعارضة من ايجابيات، بل راحوا يعقدون الندوات الدولية والمؤتمرات العالمية بغية ترسيخها في كل المجتمعات البشرية من غير ان تكلف نفسها اظهار ولو نزرا يسيرا من الايجابيات

للجانب الاخر من الحرية الفردية بل اعموا ابصارهم واصموا آذانهم عن نداءاتها، وبلغ بهم التطرف في مواقفهم تجاه هذه النظرية الى أن انحدروا بالانسان الى أن يعيش كالحيوان عن طريق القاء جميع الضوابط والالتزامات التي تضبط سلوك الفرد، وتهذب طاقته البشرية، واستثمارها لتحولها الى سلوكيات يعم نفعها على الفرد وعلى أخيه الانسان، ولا أدل على ذلك النظر الى النتائج التي خرجت بها المؤتمرات التي تعنى بنشر هذه النظرية كمؤتمر "السكان والتنمية الذى عقد بالقاهرة عام ١٩٩٤م ،ومؤتمر "بكين" الخاص بالمرأة ١٩٩٥م ، ومؤتمر السكان والتنمية والتنظيم الذي عقد في إسطنبول سنة ١٩٩٦م[١٢] .

وما حملته هذه المؤتمرات ،وغيرها من دعوات هامة إلى تبنى هذه النظرية، في القيم والعادات الاجتماعية، الذي أباحت الشذوذ والإباحية والرذيلة، ونادى الى التفكك الأسرى، وفرض حق الإنسان في تغيير هويته الجنسية، والاعتراف رسميًا بالشواذ والمثليين، والاعتراف أن ما يمارسونه من شذوذ هي حق يجب أن يندرج ضمن حقوق الإنسان، والتي منها الزواج وتكوين الأسر والحصول على أطفال بالتبني أو تأجير البطون، ومنها حق المرأة في ممارسة الحرية الجنسية الآمنة مع من تشاء .

وقد ظهرت دلالات التطرف على محيا هذه المؤتمرات من خلال محاولة تمرير قراراتها عن طريق إجهاض لأى تحفظ ينتقد نتائجها، وكتم أي صوت ينادي الى الحفاظ على القيم والقوانين الاجتماعية، فظهرت علامات هذا التطرف حين أعلنت نتائج هذه المؤتمرات :" أن حقوق السيادة لكل أمة محكومة بالمعايير الدولية لحقوق الإنسان " والمقصود بهذه المعايير المعايير التي تجعل الإباحية الجنسية حرية مشاعة لكل إنسان، يمارسها كيف يشاء، ومتى شاء ومع من يشاء شريطة الرضا والطواعية دون ضوابط تضبط تلك العلاقات[١٣] .

وفي خضم هذا التناقض الاجتماعي الذي تعيشه البشرية اليوم بين تيار المحافظين على العادات والتقاليد وبين تيار المتحررين من كل قيد اجتماعي، ومن خلال عدم قبول الاخر للطرف المقابل، وعدم التقبل القائم على الالغاء، وعدم الاعتراف بالأخطاء الموجودة في الطرفين كليهما مع التعمد في تغييب النقد البناء لتلك الاخطاء هو في حقيقته تطرف تنظيري لذلك التيار، وهذا التطرف التنظيري هو شكل من اشكال المحافظة على وجود ذلك التيار، وبالنتيجة لابد

[١٢] ينظر: القضاء الشرعي في العصر الحاضر،١٢/ ٧، موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، ٩/ ٣٦٧ .

[١٣] ينظر المصدران نفسهما .

من ظهور طرف تطبيقي عملي يؤمن حماية حقيقية لضمان عدم الاختراق للتيار الاخر.

ان الاخطاء الاجتماعية الكارثية الموجودة في كلا طرفي معادلة النظريات الاجتماعية، والتي تطرف اصحابها بعدم الاصلاح الحقيقي لها سيؤدي بالنتيجة الى ظهور نوع ثالث من التطرف الاجتماعي من الخطورة بمكان، وتكمن خطورة هذا التطرف أن له نظرة احادية في محاولة الاصلاح الاجتماعي، وهذه النظرة الاحادية هي نظرة التشخيص للأخطاء الموجودة في التيارات الاجتماعية مع الاهمال وغض الطرف عن الإيجابيات الحقيقية الكامنة فيها، وحينما يتم التركيز على الجانب المظلم في تلك النظريات، فانه سيتم التعامل معها على أنها مواد ضارة غير صالحة للاستهلاك البشري ولا يمكن تطبيقها جملة وتفصيلا، وأنها ضرر حقيقي يجب استئصاله من جسم البشرية.

وهذا النوع من التفكير في الاصلاح ومحاولة التغيير للمشكلات والاخطاء الاجتماعية الموجودة في طرفي المعادلة للنظريات الاجتماعية، والذي ينطلق من أنه لا يمكنه علاج تلك الادواء والامراض الاجتماعية الا بالبتر والاستئصال كما قدمنا؛ لأنه فاقد لاهم وسائل العلاج الناجح الا وهو التأني وعدم العجلة في التشخيص وايجاد العلاج الملائم لتلك الحالات، ومن ثم سيفقد عنصر النظر في العواقب المترتبة على هذا العلاج من مفاسد ومضار لا يمكن تداركها بعد ذلك؛ لان العضو المستأصل لا يمكن ارجاعه بعد بتره.

ان التطرف الناتج عن تمسك كل من طرفي النظريات الاجتماعية بموافقها وان كانت خاطئة، مع التعصب القائم على عدم القبول بالنقد الذاتي فضلا عن الخارجي، أدى بالنتيجة الى طفو الاخطاء والنتائج السلبية ظاهرة للعيان الى الساحة الاجتماعية، وما ترتب على تلك السلبيات من مفاسد وشرور على حياة البشرية مع عدم وجود جدية في معالجة تلك الاخطاء، فكان من نتائج ذلك التطرف أن ولّد هذا النوع الخطير من المسخ الهجين الذي لا يؤمن بعلاج الآفات عن طريق الادوية النافعة بل لا يرى الا استخدام العنف كعلاج في التغيير والاصلاح، والغلو في الارهاب والتخويف لقطع الاشجار من جذورها دون تمييزما فيها من ثمار صالحة وغير صالحة.

اذن فهذا النوع من التطرف هو حقيقته نقمة اصحابه على سلبيات الواقع الاجتماعي مع العجلة في تغييره باستخدام العنف المنهج الذي يهدف الى الارهاب والترويع للخصم من اجل ارغامه واخضاعه، وهذا النوع من التطرف هو المعني بالتطرف الاصطلاحي الذي اشتهر عند الناس وتناولته الدراسات

والبحوث، وهذا النوع لا ينحسر تأثيره او قل لم يكتب له الظهور لو أن الانواع الاخرى من التطرف الغير مرئي أخذت نفس الحيز من العناية والاهتمام لدى الباحثين والدارسين.

وفي خضم تلاطم هذه الامواج العاتية من التطرف الاجتماعي بمختلف اشكاله تظهر الحاجة الملحة لظهور اصحاب المنهج الذي يمثل الوسطية في التعامل مع جميع الاطراف، وهو الحل الاوحد، والانجح في الوقوف الموقف الاسلم في معالجة جميع السلبيات الموجودة سواء في الطرفين المتباعدين، او بالنسبة للتطرف الخارج عن تلك المعادلة ونعني به التطرف الاصطلاحي الخارجي الهجين المولود من سلبيات المجتمع[١٤].

فالوسطية تنبني على تشخيص الايجابيات الموجودة في طرفي الخلاف، فتعتمدها وتقر بصلاحيتها، وتعمل على تشجيع اصحابها والاخذ بأيديهم نحو تنميتها، وتقوية وجودها، وكذلك هو الحال في السلبيات والاخطاء التي تعتري تلك النظريات، فتقوم الوسطية على تسليط الضوء على مكمن الضعف فيها، واظهار مدى عدم توافقها مع المصالح العليا الخالية من المفاسد والشرور، فوظيفتها العمل على عزل او معالجة نبتات السوء في تلك التوجهات والنظريات وتزكيتها منها لتثمر مجتمعا وسطيا خاليا من التطرف القائم على كفالة وضمان حقوق الانسان من خلال احترام حريته الشخصية فكريا وثقافيا واجتماعيا وسياسيا على ان لا تتعارض تلك الحريات –مع المصالح العليا التي تنتظم بها حياة المجتمع– تعارضا يؤدي الى انتشار الفوضى والحاق الضرر بالأمن الاجتماعي والامن الصحي، وهي النتيجة الحتمية من اطلاق العنان للحرية الشخصية من غير تهذيبها، وتنقيتها من سطوة الانانية، والتي تبدأ من خلال حماية الانسان من الاضرار التي سيلحقها بنفسه عند تماديه واسرافه في تلبية رغباته الغير منضبطة بضوابط التوعية السلوكية والنفسية والصحية، وكل ما يترتب على ذلك الجهل من مفاسد في الجانب الاجتماعي والبيئي والصحي، والتي تصيب بالدرجة الاساس صاحبها المتلبس بها، ثم تتحول على شكل عدوى ووباء يأتي على الاخضر واليابس.

وكذلك الحال فيما يتعلق بموقف الوسطية المعتدل من سلبيات تيار المحافظين على العادات والتقاليد القائم على الاخلال بمصالح الانسان وحقوقه الخاصة، والاضرار بحريته الشخصية التي لا تتعارض مع مصلحة المجموعة، فكما ان الوسطية لا تسمح للفرد بالتجاوز على الايجابيات التي اتفقت مع مصلحة المجموعة كذلك لا تسمح

---

[١٤] ينظر: فقه الدعوة الإسلامية في الغرب ووجوب تجديدها على الحكمة والوسطية والاعتدال، ص: ١٢.

للمجموعة أن تعتدي على مصلحة الفرد التي لا تعترض مع تلك الإيجابيات .

اما التطرف الخارج عن المعادلة الاجتماعية، فالوسطية لا تقف منها موقفا واحدا، فهي تنظر الى جهتين من جهات التطرف الخارجي الذي لا ثالث له، وهم اما متطرفون مازالوا في بداية الطريق لم يقطعوا علاقاتهم مع المجتمع، ولا زالت تربطهم به بعض الوشائج، والذين لا زالوا يملكون الفرصة السانحة في تنمية تلك العلاقات المتبقية وتقويتها؛ لتنتشلهم في النهاية من ربقة قيد ذلك التطرف الذي لم يحكم السيطرة عليهم بعد، فتحررهم من ذلك القيد وتعيدهم الى حضيرة المجتمع، والى حضنه الواسع.

اما النوع الثاني من المتطرفين، وهم الذين وصلوا الى نهاية الطريق، ولم يبق معهم شيء يصلهم بالمجتمع، وفقدوا جميع آليات التفاهم، وسلبوا انفسهم فرصة العودة والرجوع الى جادة العقل والصواب حتى غدوا مرضاً خبيثا معدياً قابلاً للانتشار والتوسع سريعا، فهذا لا حيلة معه الا التعامل معه بنفس العلاج الذي حكم به هو على هذا المجتمع، وهو البتر والاستئصال، وذلك أن الامراض النفسية كالأمراض البدنية الفسلجية، فكما أن هذه الامراض منها ما يمكن علاجه وشفاؤه، وان بلغ من الخطورة ما بلغ، ومنها الذي استعصى على أطباء الابدان علاجه واستيئسوا من برئه وشفاؤه، وايقنوا الا حيلة لعلاجه، وهذا النوع من الامراض شكلان: شكل لا يهلك الا صاحبه ان بقي فيه، وهو في الوقت نفسه غير معدي، فهذا لابد من الاسراع في بتره والا اهلك البدن كله، والشكل الاخر لا يقل خطورة عن الاول في عدم الوصول الى طريقة او ترياق يشفى منه المريض وهو يزداد خطورة وضراوة لكونه مرضا معديا ينتقل الى المجتمع بشكل اسرع بسبب شيوع القناعة بممارسة الحرية الشخصية في تلبية النداءات الغريزية الغير مضبطة بالضوابط الاخلاقية والصحية، وهذا النوع ومن الامراض في هذا النوع من الاشخاص لابد من الحجر الصحي عليهم حتى لا تتحول تلك الامراض الى أوبئة تنتشر في المجتمع انتشارا سريعا لا رادع له ولا مانع، كذلك هو الحال في الامراض النفسية التي من آثارها الحاق الضرر والاعتداء على الحقوق الاجتماعية والشخصية، والتي هي أدواء بلغت من السوء ما لا ينفع معه الا الاستئصال، والتي أظهر الواقع المأساوي الذي عاشه ويعيشه ضحايا هذا النوع من الوباء أن التعامل معه على غير هذه الطريق أدى الى استشراءه، وأنه لا علاج له ناجع الا الحجر الصحي عن المجتمع.

خاتمة واهم المقترحات

في نهاية هذا البحث كان لابد من تسليط الضوء على اهم ما جاء فيه من مخرجاته مع الاقتراح للمناسب من الحلول المبنية على التشخيص للأسباب التي أدت بالنهاية الى ظهور التطرف، ومن أهمها ما يأتي:

١- أثبت البحث أن التطرف المعهود بأبشع صوره الموجودة هو وليد التطرف والتعنت في السلبيات الموجودة في طرفي المعادلة الانسانية.

٢- أثبت البحث الا خروج من هذا الممر الضيق من التطرف الذي تسير فيه البشرية اليوم الا بالقضاء على مظاهر التطرف الموجودة اساسا والتي تمارس يوميا داخل تلك المجتمعات.

٣- توعية الناس فكريا وثقافيا عن طريق ترسيخ الاتجاه الوسطي وممارسته واقعا ملموسا في حياتهم، وذلك بالاستعانة بجميع وسائل التواصل المرئية والمسموعة.

٤- تشخيص مظاهر التطرف التي تمارسها المجتمعات على أنها عادات واعراف تقليدية، والعمل على استبدالها ببدائل الوسطية والاعتدال وجعلها عادات وتقاليد مجتمعية.

٥- تغليب جانب الحوار البناء بين الناس، والسعي في جعله نوع من انواع المظاهر المهمة في حياتهم، والابتعاد عن كل ما يؤدي الى التشنج والتعنت في طرح الآراء وتبنيها .

ثبت المصادر

١- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق : د .مهدي المخزومي ود .إبراهيم السامرائ، دار ومكتبة الهلال.

٢- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت – ط١، ٢٠٠١ م.

٣- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٤- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت، ط١.

٥- مفاهيم إسلامية، المصدر : موقع وزارة الأوقاف المصرية، http://www.islamic-council.com .

٦- الإرهاب والعنف في ميزان الشرع، إعداد: د . عبدالعزيز بن فوزان بن صالح الفوزان، اللجنة العلمية للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

٧- موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية، عبد الوهاب المسيري، موقع صيد الفوائد .

٨- عصرنا والعيش في الزمان الصعب، أ.د.عبد الكريم بكّار، WWW.sh a w a t i.com

٩- أسباب الإرهاب والعنف والتطرف، صالح بن غانم السدلان، مصدر الكتاب : موقع الإسلام http://www.al-islam.com.

١٠- الإرهاب وإشكاليات المفهوم والانتماء والمواجهة، حسن بن فهد الهويمل، مصدر الكتاب : موقع الإسلام. http://www.al-islam.com.

١١- ندوة القضاء الشرعي في العصر الحاضر الواقع والمؤمول الفترة الواقعة بين ١٢-١٣-١٤ ربيع الأول ١٤٢٧هـ.الموافق ١١-١٢-٢٠٠٦/٤/١٣هـ.

١٢- فقه الدعوة الإسلامية في الغرب ووجوب تجديدها على الحكمة والوسطية والاعتدال، أ. علي بن أحمد بن الأمين الريسوني، مصدر الكتاب : موقع الإسلام.